القسم كان ينبغي أن يكرر لحظة التتويج فان الدوق حاول أن يتناساه. ولكن المطران عندما كان يستعد لوضع التاج على رأسه تقدم عضوان من أعضاء مجلس الدييت واعترضا على التتويج واستولى أحدهما على التاج ولم يشأ أن يرده حتى يتم ترديد القسم بكافة بنوده . واعتقد ابن كاترين دوميديسي المدلل أن البولونيين قوم خشنون. فهذا السيد الافرنسي الصغير الذي كانت يداه ناصعتي البياض كان ضعيفا وقليل الذكاء . وقد قال أحدهم وهو ينظر اليه إنه لا يدري إذا كان يجب ان يسمى ملكا ـ امراة أم ملكة ـ رجلا . واخيرا خضع وأدى اليمين الذي بدا انه انزل من قيمة هذا الملك الذي اعتلى عرشه الى الصفر .

ولكنه ما لبث أن غدا ساخطا على بولونيا بمقدار ما كانت بولونيا ساخطة عليه ، بل ربما كان سخط بولونيا عليه أكبر لأن البولونيين كانوا يظنون انهم سيسيطرون على هذه الشخصية الضعيفة ويقودونها حيث يشاؤون . وكان عزاء كبيراً له عندما علم في حزيران يونيه ١٥٧٤ بموت أخيه . فقد قضى شارل التاسع نحبه وهو في سن الرابعة والعشرين فخلفه دوق أنجو تحت اسم هنري الثالث . وما هو طريف في الموضوع هو أن البولونيين لم يشاؤوا أن يدعوه يمضي الى ملكه الجديد ، وربما ظنوا أن بامكانه أن يحكم فرنسا وهو على عرش فرصوفيا كما لو انها ملك لبولونيا أو مستعمرة لها . ففي ذلك العصر ـ كما هو الأمر دائما ـ كان البولونيون يأخذهم غرور قومي كبير . وهكذا توجب على هنري الثالث أن يفر بالسر أثناء الليل ممتطيا صهوة جواده ويلاحقه النبلاء البولونيون ، ولكنه اجتاز الحدود ولم يعد أحد يستطيع ان يرده ، وخلعه الدييت رسميا عن العرش في أيار مايو ١٥٧٥ .

وبقيت بولونيا في حيرة من امرها . واجتاح التتر أوكرانيا في سعيهم وراء خصوم الين عريكة من الروس واختطفوا خمسين ألف شخص قادوهم للعبودية . وغدت البلاد في حاجة ماسة لملك قوي .